مورفولوجية المدينة

يقصد بمورفولوجية المدينة هو تفاعل الشكل مع الوظيفة والتي ينتج عنها المظهر الخارجي او الهيئة الخارجية للمدينة يمكن الاستفادة منها اليوم في دراسة التاريخ العمراني ـ الحضري لأية مدينة واستخلاص جملة العوامل والمؤثرات التي وقفت وراء تشكيل مثل هذه النماذج والإشكال في كل فترة زمنية من عمر المدينة، كل هذه المتغيرات تدرس ضمن مفهوم شاع استعماله يطلق علية مورفولوجية المدينة والذي يسعى إلى الكشف عن المظهر الخارجي للمدينة وتحليل عناصره الداخلية التي تشكلت عبرها بنية المدينة العمرانية.

نظريات تخطيط المدن

تعد خطة المدينة من اهم مراحل دراستها للتعرف على مورفولجيتها، ان اغلب المدن نمت بشكل طبيعي وهذا لا يعني انها عشوائية التصميم او ينقصها التخطيط، بل ان كل مدينة بنيت وفق خطة معينة، وخطة المدينة تعني الشكل العام الذي تأخذه المنطقة المبنية سواء في اطارها الخارجي او شبكة الشوارع ومن ثم توزيع الاستعمالات الحضرية داخلها، وهذه تتأثر بعوامل موضعية كدرجة الانحدار والميل، وعوامل موقعية كوجود ظواهر تضاريسية معينة، فضلاً عن تقاليد المجتمع، والمدن الحديثة تتأثر بعامل ثالث هو شكل المدينة في الاجزاء القديمة من المدينة.

ففي المدينة العربية الاسلامية يعد المسجد الجامع المعلم الرئيس في تخطيط المدينة، حيث كانت الرغبة عند المخطط في ابراز اهمية قلب المدينة الذي يشمل المسجد الجامع ودار الامارة ثم يخطط باقي استعمالات الارض والشوارع.

اما انواع الخطط التي اشتهرت بها المدن في الماضي، فكانت الخطة الدائرية التي اعتبرها المخطط القديم من اكمل الاشكال لذا اتُبِع هذا النمط في تخطيط المدن البابلية والفينيقية، كما ظهر الشكل الدائري في العديد من المدن الاسلامية مثل بغداد والكوفة والموصل، وهذا النوع يتماشى مع الافكار الاسلامية الدينية، كما ان هذا الشكل يساعد في الدفاع عن المدينة ويقلل المسافة بين اجزائها حيث يجعل المركز على بعد متساوي من ابراج المراقبة على السور، الا ان هناك خطط اتخذت اشكال اخرى مثل المدن المربعة ذات الزوايا القائمة والتي ظهرت في مدن مصر القديمة، كما ظهرت في المدن المراكشية والقاهرة القديمة التي بناها الفاطميون متأثرين بالمدن الاغريقية، في حين كانت البصرة وسامراء يغلب عليها الشكل المستطيل، ومدناً مثل مكة وجدة تتميز بقلة الازقة غير السالة وشوارعها المستقيمة ذات الزوايا القائمة لان هذا الشكل يسهل حركة الناس اثناء المواسم الدينية (الحج) والتجارية.

اما في الوقت الحاضر، فيميز مخططو المدن في معظم جهات العالم بين ثلاث انماط رئيسية هي خطة الزوايا القائمة وهي الاكثر انتشاراً، وخطة الحلقات الدائرية، ثم الخطة الشريطية والتي تشهد اقبالاً واسعاً في وقتنا الحاضر.

١ـ خطة الزوايا القائمة(الخطة الشبكية)

تشبه هذه الخطة في تقسيماتها لوحة الشطرنج وتكون زوايا تلاقي الشوارع قائمة، وقد لاقت اقبالاً منذ اقدم العصور، وتتميز بخلو المدينة من التعقيد، سهولة تحديد الملكيات وترقيم الدور حيث تنشأ البيوت فيها ضمن مناطق مستطيلة، وسهولة تقسيمها الى اقسام ادارية، استقامة المباني والعمارات والشوارع، سهولة الحركة. لكن يعيبها ان الشمس والرياح يؤثران في الشوارع المتوازية ومجال الرؤيا ضيق جداً عند مفترق الطرق، ويتطلب الوصول الى اطراف المدينة المرور بعدة مراحل اويتم على عدة خطوات، لذا قام المهندسون المحدثون بمد طرق جانبية، بحيث تصنع زوايا حادة مع القاعدة لتنشيط حركة النقل بين انحاء المدينة، وطبقت هذه الخطة عند تصميم مدينة نيويورك، وجرى عليها تعديلات لاحقاً كغيرها من المدن الامريكية.

٢ـ خطة الحلقات الدائرية

تتخذ المدينة التي تبنى وفق هذه الخطة نظام الحلقات المتتابعة حول نقطة المركز الا انها تظهر بعدة اشكال: أ ـ النظام الشعاعي/ تتفرع الشوارع في هذا النظام من مركز المدينة نحو اطرافها، فتؤلف شكلاً شعاعياً يدعى بـ(الخطة الشعاعية)، بحيث تمتد الشوارع من المركز نحو الاطراف، وينجم عن تقاطع الشوارع المستقيمة شكلاً سداسياً، ويساعد هذا النظام على سرعة الحركة بين مركز المدينة واطرافها، الا انه يخلق اشكالاً غير مرغوبة للمدينة يتمثل بالبطء في حركة المرور عند مفترق الطرق الحلقية الشعاعية بسبب محدودية الرؤيا، لهذا يسعى المخططون الى حل هذه المعضلة بتحويل الاشكال السداسية الناجمة عن تقاطع الشوارع الدائرية الى اشكال منحنية بقدر الامكان ويعرف هذا النظام بالشكل الشعاعي الدائري.

ب ـ الشكل الشعاعي الدائري/ يحرص المصممون على ان تكون الشوارع على شكل حلقات او دوائر تحيط الواحدة بالأخرى وهذا النظام يسهل حركة المرور في المدينة ويساعد على ربط اجزاء المدينة.

جـ ـ الشكل الدائري النجمي/ وهذا يحدث عندما تظهر الاحياء السكنية عند اطراف لمدينة وعلى اطراف شوارعها الشعاعية الخارجة من مركزها، الامر الذي يؤدي الى ظهور فراغات بين الاحياء عند الاطراف بين اذرع الشوارع الممتدة فتبدو المدينة عندها على شكل دائري نجمي، لكن سرعان ما تمتلئ الفراغات بالسكن وتعود المدينة الى شكلها الدائري الشعاعي من جديد.

٣ـ الخطة الشريطية

لقيت هذه الخطة قبولاً لدى مصممي المدن واصحاب القرار من رجال التخطيط، والتي تعتمد تنمية المدينة على شكل نطاقات طولية او اشرطة ، وان كل شريط متخصص بوظيفة محددة على الاغلب والاشرطة تربط بين المناطق السكنية ومناطق العمل والتنزه، والطريق الرئيسي العمود الفقري للمدينة ويمثل المركز التجاري والاداري للمدينة، وتمتد منه الشوارع كأشرطة طولية، ومن الاسباب التي تدفع المخططين الى اتخاذ هذا النوع من الخطط هو وجود عوائق طبيعية مانعة تحتم على المدينة الامتداد الطولي كالأنهار.